

خطاب جلالة الملك

أمام أعضاء المجلس الوطني السنغالي

سعادة الرئيس :

حضرات السادة اعضاء المجلس المحترمين

أصحاب السعادة :

سيداتي، سادتي :

إن العبارات التي فاه بها نحونا ونحو العائلة المالكة سعادة رئيس المجلس الوطني، صديقنا السيد الأمين كاي، كان لها أثر عميق في نفسي، كما جعلت من الواجب علي أن أذكر الشعب المغربي أن بعض الوراثات تكون ثقيلة الحمل، وأن أعلن لهم من أعلى هذه المنصة الافريقية ـــ أي المغربية ـــ عن مدى الحب الذي يكنه لهم الشعب السينغالي، وأن عليهم أن يكونوا بسطاء ولطفاء ورزناء، وأن أؤكد لهم ان كانوا في حاجة لذلك أن عهد الفتوحات قد انقضى، وأن عهد نشر العرفان قد يكون عهدًا ملائمًا للبلدان الافريقية التي تصبو قبل كل شيء الى الاتحاد، أقول لهم كما أقول لكافة شعوب افريقيا : ان فلاح قارتنا يكمن في الاتحاد، في اتحاد القلوب، وفي احترام الأنظمة القائمة، أقول لهم : ان التدخل في الشؤون الداخلية للدول يكون أكبر خطر على اتحادنا، كما أقول لهم أيضا انه عندما يختار شعب ما النظام اللائق به يصبح من أول الواجبات على باقي أفراد الأسرة الافريقية أن يحترموا إرادة ذلك الشعب، لأن ارادة الشعوب هي ارادة الله.

ان هذا المجمع رهيب أيها السادة النواب، لأني أشعر أن كلا منا يدرك كل الادراك المسؤوليات الملقاة على عاتقنا، سواء أكنا سلطة تشريعية، أو تنفيذية، أو سلطة مطلقة، وأنا ملم ـــ أيها السادة النواب ـــ كل الالمام ـــ بالمهمة المنوطة بكم، وبشغلكم الشاغل، وبما يخامر ضمائركم أمام المشاكل التي تواجهونها في كل يوم، أشعر أن الثقة التي وضعها فيكم الشعب وجعلكم الاستفتاء القومي أهلا لها توجب عليكم أن تكون وصيتكم المقدسة هي تحقيق رغائب منتخبيكم، وبصفتكم رجال دولة مدركين لما عليكم من واجبات، وأبناء وطن على علم من امكانيات وطنهم ومطامحه تجدون أنفسكم في بعض الأحيان أمام متناقضات تظنونها متشعبة ولا حلول لها.

ان هذا العراك المتواصل ما هو الا تلك الالتواءات التي نخرج منها نحن وإياكم بعد تأمل طويل، مرتاحي الضمير، وعلى يقين من أننا أولينا عملنا كل ما يستحقه من اهتمام، لأن من يقود الرجال لايقوم بوصية مقدسة، لأن الوصية المقدسة ـــ قبل كل شيء ـــ ما هي الا صادرة عن أعماق نفس المرء، فهي ليست وظيفة، لأن الوظيفة ربما تكون شرفية انها حرفة، انها عمل يومي، انها صناعة متواصلة لا تكيف بها المادة بواسطة آلات ميكانيكية، بل تعجن بين الأصابع، وتحس عروقنا بتكييفها، ونريد لها ان تكون أجمل ما أنتجنا من صنعنا.

إن المغرب يمارس أول تجربته الديمقراطية، ومجلسانا يوجدان الآن في دورتهما العادية، فلقد درسا ميزانيتهما، وأتمنى شخصيا ان تحدوهما في دراسة القضايا المعروضة عليهما نفس الارادة وحسن الضمير ليصلا الى إدراك الحقائق ومعرفة الحلول، ولكن اذا أردنا نهج سبيل الديمقراطية وجب علينا أن نتبصر في المشاكل قبل

الشروع في التفكير في حلولها.

ان العمل في جميع مفترقات طرق حياتنا هو في المديريات، وفي الوزارات على جميع المستويات، ان النشاط اليومي للموظفين والادارات، ان الأمانة والضمير المهني والنزاهة أمام الواجب، ان هذا كله يكون الشرط الأساسي للنجاح، وبه يمكننا الوصول إلى القمة التي ننشدها.

نعم قد يكثر التحدث عن الديمقراطية، اذ في هذا المجال يتساوى عدد الديمقراطيات والديمقراطيين، ولكن هناك نقط قليلة اتفق على صحتها المفكرون ايا كان زمنهم، غير ان هذه النقط نفسها تتغير لا محالة، ولا يقر لها قرار، وديمقراطية القرن العشرين ليست ديمقراطية «أفلاطون» بل ولا حتى ديمقراطية «ايفلانستير» أو تلك التي عرفتها أوربا عام 1789.

إن ديمقراطية القرن العشرين هي الكفاح اليومي الذي يقوم به المرء في سبيل الحياة، يقوم به لكي يحيى ويبقى حيا بعد مماته، ان الديمقراطية في عهدنا هذا لمدلول جديد للحرية، اذ الحرية أصبحت ترمز الى التحرر من الجوع، من الجهل، من الفقر، فليست الحرية اليوم هي تلك البطاقة التي تخول لكم الذهاب الى صناديق الاقتراع وتصوتوا، لأنها في الحقيقة لاتجديكم شيئا، ان هذه البطاقة وان كانت تجعلكم أحرارًا امام صندوق الاقتراع وضميركم، ترجع بكم الى الاسترقاق في الشارع إذا لم تكن لكم وقاية ضد البؤس والجهل والجوع والفقر.

فالديمقراطية إذن بالنسبة لنا نحن البلدان المتخلفة اقتصاديا هي شعور سام بما علينا من واجب النهوض بشعوبنا في نطاق الحرية الفردية والجماعية، تلك الحرية التي لا يمكن أن يوجد لها تعبير شفوي أو كتابي الا اذا ارتكزت على حرية المرء أمام العناصر البيولوجية التي يواجهها كل يوم.

وهذا يسير بنا الى وضع مشكلة أخرى، فالعقول غير كافية إذا لم تصاحبها السواعد للتخلص من هذا التخلف وللتفرع في هذه الحرية الاقتصادية والاجتماعية، وللوصول الى هذا النهوض بالمرء فيجب اذن على ديمقراطيتنا ان تنظر كذلك الى الاستثمار البشري والتكوين، فما دمنا لا نتوفر على أطرنا وفنيينا لا يمكننا أن نتحرر من ربقة الغير، وما دمنا لا نتوفر على خيرات وطنية تمتد الى المجموعات والى القارات، فلا مناص لنا من الالتجاء للدول العظمى، وسنبقى دوما متعرضين للأطماع وكذا — وياللأسف — للمؤامرات الدولية، وهذا ما حدا بي في سنة 1960 يوم كنت متشرفا بالنيابة عن أبي المرحوم في رئاسة الحكومة، ويوم كنت على رأس الوفد المغربي بالأمم المتحدة لأن أقول : هذا ما حدا بي الى أن أبين على البلدان النامية الأخطار التي تحدق بها، وأن أقترح عليها حلولا تحول دونها ومجابهة كتلة أو أمة معينة، هذا ما حدا بي الى أن أقترح عليها أن تطلب المساعدة من الهيئات الدولية، لأن مثل هذه الهيئات لم يكن في وسعها ولن يكون أبدا في وسعها أن تفرض علينا ارادتها بصفة انفرادية، فتعاقدنا معها لا يمكن أن يطرأ منه أي مساس بسيادتنا لا في الشكل ولا في الكيف.

حضرات السادة أعضاء المجلس المحترمين

اني لفخور ومتشرف أن أكون بهذه المناسبة ضيفكم، وموضع تقديركم، وللاستقبال الحار الذي خصصتموه لي في هذا اليوم، كما أنني سعيد أن أكون رسول الصداقة والأخوة من لدن شعب عرفتموه وعرف شعب السنغال خطوة خطوة طوال قرون من التاريخ. فرغم أن الأحداث لم تخل من الهيجان في بعض الأحيان، ورغم أننا اصطدمنا وتشاجرنا خلال هذه القرون فان هناك شيئا غير زائل، ألا وهو كوننا عرفنا كيف نتحاب،

لأن بعضنا قدر البعض، فعلينا أن نزيد في هذا التقدير، وذلك أكبر ضمان لاستمرار توادنا، وهذا التقدير — كما قلت — رهين بالاحترام المتبادل بين الأمم في سيادتها واستقلالها، أقول — لايمكن لهذا التقدير أن يكتسي صبغة الجد الا إذا قمنا بما علينا أن نقوم به «لوجه الله» كما يقول المسلمون في سبيل الله والأخوة الانسانية، لا تخامرنا من وراء اتحادنا أية رغبة في السيطرة أو التدخل، بل السعي في إنشاء سلسلة للتضامن الإفريقي حتى تصبح قارتنا التي هي من أعظم القارات وأغناها ومن أقلها سكانا — حصنًا للتفاهم والوحدة والتعاون.

فعلينا أن لاننسى شيئا واحدا : أنه ليس أمامنا سوى وقت قصير لبناء افريقيا، ووقت أقصر منه لتحطيمها. لنعجل اذن ببنائها اذا كنا غير راغبين في سخط الأجيال المقبلة والأحداث.

لا أريد أن أختم خطابي هذا دون أن أعبر لحضرة الرئيس الأمين كاي عن التقدير الودي الذي نكنه له، وعن الاحترام الذي يخامر شابًا افريقياً نحو مجاهد ومفكر مسن، نحو مجاهد ضحا بما ضحا من جهده وشبابه، ولم يبخل بآونة واحدة من حياته ولا بقسط من قوته في سبيل شعبه أولا ثم في سبيل الشعوب المجاورة، اني أؤكد للسيد الرئيس الأمين كاي أننا نحن معشر الأفارقة لن نتردد في منحه بالاجماع لقب المواطن الافريقي الأول، لو فرضنا أنه طرحت قضية استحقاق تلك المواطنة الافريقية على البساط.

وعلى كل حال ليعلم حضرة السيد الرئيس الأمين كاي أنه عند زيارته للمغرب سيستقبل لا كرئيس للمجلس الوطني السنغالي، ولا كمواطن سنغالي، بل كمغربي يزور وطنه، إذ أن رجل الخير ورجل الدين يجد نفسه في وطنه أينما حل على وجه البسيطة.

سعادة الرئيس :

اسمحوا لي أن أعبر لكم عن الاحترام والتقدير اللذين نكنهما لكم واللذين سوف يعبر لكم عنهما خيرة رجالنا ونوابنا وسكان المدن التي ستتفضلون بزيارتها، وأتمنى أن تزوروا أكثر ما يمكن منها.

ان هناك رجلا كان يسعد ويبتهج لو تأتى له أن يحضر هنا، وأنتم تعلمون كل العلم — أيها السادة — من هو ذلك الرجل، انه والدي المقدس محمد الخامس، لقد كان يحلم دومًا بشيء واحد، الا وهو تركيز الديمقراطية في بلده، وانشاء علاقات صداقة متينة مع كافة الأمم الافريقية، ولكن نحن على يقين — إذ كلنا مؤمنين. كيف ما كان ديننا — من أن روحا مثل روحه حاضرة وقته بيننا، تلهمنا وتمد علينا أجنحتها الحارسة لنا.

أيها السادة النواب :

اني أتمنى أن يتوج المستقبل القريب والبعيد مجهوداتكم، وأن يسوى على مر السنين كل ما تفكرون فيه، وما يشغل بالكم، وكذا الاختلافات الداخلية والصعوبات الناتجة عن الخلاف بين ما هو ممكن وما ترجون أن يكون، وذلك سيصبح دليلا لنا على أن مشاكلكم تتناقص وأن متاعبكم ليست بمنيعة الحلول، وأن طاقاتكم لا تزيد الا تفرعا.

تحيى الأمة السنغالية

يحيى فخامة رئيس الجمهورية السيد ليوبولد سنغور

ارتجل بدكار الخميس 11 ذي القعدة 1384 — 26 مارس 1964